حال علم النفس فى مصر
بين العلم واللاعلم

أ.د/ عبدالسلام أحمدى الشيخ(*)

مدخل

نمهد في هذا المقال ونركز علي كيفية تعامل المجتمع المصري المتخصص في الدراسات السيكولوجية (سواء علماء أو باحثين مهتمين بالبحث العلمي أو مهنيين تطبيقيين مهتمين بتوظيف نتائج البحث العلمي السيكولوجي وتطبيقها لتنمية السلوك وتشكيله وتعديله وحل مشكلاته) في فهمهم في مدي علمية ما يتعاملون معه ورؤيتهم المستقبلية له وهو – اي المقال – بهم علماء النفس أو السلوك وكذلك المهتمين به مثل الأخصائيين النفسيين في جميع مجالات المجتمع المصري وربنا يهم كذلك فئة من المثقفين الذين يهتمون بتتبع دور العلوم – ومنها علم النفس – وتوظيفها في حل مشاكل المجتمع المصري وتقدمه أو تخلفه.

من هنا يركز هذا المقال النظر علي علمية علم النفس وذلك من خلال عرض لبحوث سيكولوجية اجريت في مصر نلتمس من خلالها أهم المناهج البحثية المتبعة وكذلك موضوعات البحث ومدي اقترابها أو ابتعادها عن المفهوم المعاصر للعلم كما في الغرب المتقدم وكما في مصر حالياً وكيف بدأت ولادته في العالم الحديث كعلم وكيف ولد في مصر كما نتتبع تطور خصائص هذا العلم الوليد ومتي جعلت منه علماً تتوافر له خصائص العلم الأساسي وعلي رأسها التوصل الي قوانين علمية حاكمة للظاهرة.

ومتي كان له خصائص غامضة ميتافيزيقية – وما هي – وكيف ابعدته عن المنهج العلمي وجعلته أقرب الي التفكير الساذج و البيزنطي.

(*) استاذ علم النفس. كلية الأداب/ جامعة طنطا

من هنا يركز هذا المقال علي علمية علم النفس – بمعني متي يكون علماً ومتي لا يكون علماً من خلال عرض نماذج نظرية وامبريقية للبحث السيكولوجي في مصر ومقارنته بمعايير العلم المعاصرة في العالم الغربي المتقدم سواء من حيث مناهج البحث المتبعة أو الموضوعات المدروسة والرؤي العلمية المصرية بشكل عام تجاه هذا العلم وما لها وما عليها وما تطرحه مستقبلاً لطبيعة هذا العلم وتطوره ومدي مساهمة العلماء المصريين في تشكيل هذا التطور.

كما نتبع تطور خصائص هذا العلم الوليد منذ ١٨٧٩ بمعمل ليبزج بألمانيا ومتي تعاملنا معه كعلم وهو علم فعلاً ومتي تعاملنا معه كعلم بينما هو ليس كذلك ومظاهر غموض الصورة وهو ما انتقل من الغرب إلينا خاصة الي مصر بما أدخل دراسات السيكولوجيا كلها في مصر في خلط غريب أمتد بشكل عشوائي الي بلدان تحيط بمصر وتحيا علي تراثها علماً وثقافة. كما سنري ويتطلب هذا منا أن نتعرف علي حقيقة علم النفس – باعتباره علماً من منابعه الاساسية وهو الغرب وحيث كان ولم يزل هو المصدر الاساسي لبحوث السيكولوجيا بكل مناهجها وموضوعاتها في مصر.

صورة علم النفس في الغرب كمصدر أساسي لصورته في مصر.

من المستقر عليه عالمياً أن علم النفس بدأ كعلم علي يد فونت ليبزج بألمانيا ١٨٧٩ حيث أنشأ أول معمل لعلم النفس – وانتشرت معامل البحث السيكولوجي بعد هذا مباشرة في انجلترا وأمريكا ومعمل ستانلي هول ... إلخ.

ومجرد ربط علم النفس بالمعمل يحدد مفهوم العلم الذي يرتبط بالمعامل واللاعلم الذي يسبعد المعامل ويستند الي أفكار نظرية قد تدعم بلغة كمية (احصاء)

ونشير هنا الي مؤشر لعظمة الفكر الالماني في فهم مفهوم العلم بما دفع كوفكا, فرتهيمر, كوهلر... إلخ الي الاعتماد علي التجارب التي طرحت لنا ما يطرحه أي علم أساسي وهي القوانين الحاكمة للسلوك مثل قوانين الجشطالت حول الادراك في تلك الفترة.

ظهرت تجارب بافلوف في روسيا بداية القرن التاسع عشر والتي تؤكد علميتها بقوانين التشريط المعروفة والتي تعطينا القدرة علي التحكم والتنبؤ وتفسير السلوك بما يؤكد علميتها.

ثم كانت دراسات جان بياجيه في فرنسا القائمة علي الملاحظة العلمية لسلوك الأطفال والتي انتهت الي مقاييس علمية ثابته وصادقة وحددت مراحل نمو سلوك الانسان وخصائص كل مرحلة والنمو العقلي والحسي والانفعالي...إلخ.

لا ننسي دراسات سابقة مثل (بل, ماجندي, لاشلي) عن عمل وظائف الجهاز العصبي والتوصل الي قوانين حاكمة للسلوك وتشريح بنائي للخلايا العصبية والناقلات العصبية..... إلخ ولكن هذا المنحي بدأ مبكراً واستمر علي استحياء حتي بداية القرن ٢١ معني هذا أن منهج التجربة والملاحظة العلمية كان قد سادت البحث السيكولوجي في تلك الفترة ثم البحث النيوروسيكولوجي لكنها جميعاً كانت علي استحياء و لم تزل حتي الأن حيث – كما سنري – تطورت بحوث النيوروسيكولوجي والنيوروساينس في الخارج لكنها تكاد تكون متوقفة في مصر كما سنعرض لها.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهر مدخلين جديدين علي البحث السيكولوجي في الغرب

١- ما يسمي بالمنهج الاكلينكي أو الدينامي الذي أسسه العلم النمساوي سيجموند فرويد ومن أهم كتبه: محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي – سيكولوجية الأحلام (ترجم الي الانجليزية ١٩٢٠) وأطلق عليه في التحليل النفسي وأعتمد علي مجرد الملاحظة الاكلينكية علي المرضي ومحاولة تفسير الأعراض والبحث عن اسباب مفترضه ورائها – مثل اضطراب اللبيدو وراء الشلل الهستيري وما يسمي بالتحويل والإعلاء وعقدة أوديب والخصاء... ألخ

ومعظمها بناءات فرضية غير علمية كما سنري –بما جعله يخلق موضـــوعات غـــير علمية كالاعلاء والترميز واللاشعور, وهي موضوعات لا وجود لها في مناحي البحث السيكولوجي الأخري وكأن كل منحي علماً مفارقاً للمنحي الأخر...إلخ وســـوف نري كيف تشكل هذا المنحي داخل جامعات مصر.

٢- ما يسمي بالمنحي السيكومتري – وهو الذي ولد من خلال الفلسفة الوضعية في إنجلترا وفرنسا من خلال المنطق والاحصاء ويمثلها في مصر الفيلسوف زكي نجيب محمـــود بجامعة القاهرة وفي إنجلترا برتر اندرسل وسيبرمان صاحب العامل العام في الـــذكاء والعوامل الطائفية ثم تطورت علي يد ايزنك وتلاميذه ومنهم مصريون ومـــن هـــذا المنحي تولد ٧٠٪ من بحوث السيكولوجيا في مصر التي ترتدي رداء العلم الموضوعي وتعتمد علي لغة الأرقام سواء في الغرب أو في مصر.

تعليق علي ما سبق

ما سبق صورة سريعة عن علم النفس – أو الدراسات النفسية في الغرب بعد انتشار المنهج العلمي في تلك الإقطار – وهي أصل الصورة التي انتقلت عند بداية القرن العشرين الي مصر حيث تم إعادة تشكيلها داخل مصر سلبياً أو ايجابياً, وقد ساعد علي سرعة نقل هذه الصورة الي مصر موقع مصر الجغرافي والسياسي والـــديموجرافي حيـــث محـــاولات السلاطين والحكام بجعلها قطعة من أوربا خاصة وهي رائدة شرق وجنوب البحر المتوسط.

كيف انتقلت صورة علم النفس هذه الي مصر وكيف تشكلت بـــالواقع المصـــري وكيف ساهم المصريون في تطويرها –وهل استطاع الفكر المصري أن يستوعب ويطـــور هذه الصور ويبدع فيها ما هو جديد وما يولد عنه صورة أكثر تقدماً لعلم النفس في مصر يمكن أن يستفيد منه الغرب كما أستفادت مصر من الغرب أم توقف عندها وربما شـــوه الصورة وأهمل نقله علمية خطيرة حدثت في الغرب تم فيها رفض الدراسات التقليدية لمـــا يسمي النفس أو السلوك التقليدي وطرح نظريات علمية لمفهوم جديد للسلوك وتحليله كما طرحه سكنر في مقالاته المتعددة حوله وانشاء القسم رقم ٢٥ بالجمعية الأمريكية خـــاص

بتحليل السلوك – وصعوبة دراسة السلوك الخارجي بعيداً عن الجهاز النيورولوجي مما جعل من دراسات خريطة المخ والسيالات العصبية وبناء العضلات الملساء والهيكلية سواء كالفسيولوجي والنيورولوجيا لاغني للباحث السيكولوجي من دراساتها بكل أسف لم يهتم المصريون بكل هذه الابتكارات في الغرب بما ساهم أكثر في تأكيد تخلفها وهو ما سوف نتعرف عليه في عرضنا لهذه الصورة داخل مصر وربما نستطيع أن نقدم وصفة علاجية.

بداية الفكر السيكولوجي في مصر (الفراعنة ثم العصور الوسطي)

بداية كما هو معروف للقارئ المثقف أن ما يسمي بعلم النفس يدرس النفس والسلوك خاصة البشري ومجرد محاولة الأنسان أن يفهم سلوكه أو نفسه فهو هنا يدرس السلوك بمناهجه وأدواته المتوفره إليه. وبالتالي من الصعب جداً أن تتصور انساناً لم يحاول أن يفهم سلوكه او سلوك الأخر مما دعي بعض العاماء المعاصرين مثل Sarason الي القول بأننا جميعاً أخصائيون نفسانيون هواه واعتمد الانسان البدائي علي المنهج الغيبي أو البدائي لتفسير السلوك ومن هنا تم ابتداع الشياطين والجن والانفعالات وغضب أو رضا الالهة كشروط مسئولة عن السلوك أو النفس ولجأ الانسان الي الشعوذة والرسم وتحضير الجن والشياطين وايجاد الوسائط التي تيسر سلوك الانسان وتحقق اماله...إلخ واستخدام الخوف أو التشجيع لتشكيل السلوك المرغوب وانتاجه ومع نمو المنهج من بدائي الي عقلي تقدمت البشرية في تشكيل وانتاج السلوك المرغوب, وكل القوانين والدساتير واللوائح منذ ما قبل الميلاد إن هي إلا شروط لتشكيل السلوك المرغوب وانتاجه كل هذا حدث من خلال تراكم خبرات الرجل العادي ومن خلال تراث الأباء عبر الأجيال المتخم بالتفكير الغيبي ثم مع التطور جخل الفكر المنطقي والعقلاني وانعكس في الفلسفات واشكال التفكير الأخري كالسياسي والاجتماعي..... إلخ

ومن هنا خضعت النفس أو السلوك لكل مناهج التفكير البشري – ولم تزل – إلا التفكير العلمي الذي يدعي علماء النفس أنه دخل في منتصف القرن ال١٩م.

والواقع الذي نحياه حالياً يؤكد لنا ان المنهج العلمي في دراسة السلوك بشكل عام لم يزل بعيداً خاصة في مصر والشرق ؟؟؟؟ .

وان ما يحدث حالياً إنما هو امتداد للفكر الغيبي والعملي والميتافيزيقي وربما المنطقي وليس العلمي إلا نادراً.

بوادر التفكير العلمي في دراسة السلوك في الشرق ومصر.

برغم من ان المنهج الغيبي والديني والميتافيزيقي والامبريقي هي المناهج التي سيطرت و لم تزل تسيطر حالياً علي محاولات فهم السلوك في مصر إلا ان هناك بوادر تفكير علمي ظهرت كمحاولات فردية لفهم السلوك علي مدار تاريخ مصر مثلما في عهد الفرعون في القرن السابع قبل الميلاد وكانت تدور حول "لو عزلنا الأطفال المصريين في فترة طفولتهم الولي بدون أي اتصال لغوي – فربما تلقائياً يتكلمون لغة الحضارة المصرية القديمة التي ينتمون إليها وتم عزل عينات من الأطفال وتم تتبع نموهم اللغوي واتضح من هذه التجربة الرائدة أن الأفكار وكذلك اللغة لها أساس بالعقل (لها أساس فطري) (Hunt 1993 p1) بالطبع ينقص هذه التجربة كثيراً من الشروط الواجب توافرها للتجربة العلمية في عصرنا. إلا أننا نذكرها هنا كمؤشر لمحاولات العقل المستمرة – في مصر – التمسك بالدراسة العلمية الموضوعية.

و لم تنقطع هذه المحاولات الفردية بل استمر العقل العربي والمصري في طرح محاولات لدراسات حول فهم السلوك ولنا في رواد الفكر العربي أمثلة واضحة و لم تزل أسماء هؤلاء الرواد تسيطر علي تاريخ التفكير البشري كالخوارزمي في اللوغاريتمات الرياضية وجابرين حيان وابن خلدون ١٤٠٦ واضع اسس علم الاجتماع الحديث وابن الهيثم وابن رشد واضع اسس النهضة الفكرية الحديثة في أوروبا عن طريق الأندلس والمعروف باسم aveross وابن سينا 1033 avesenna الذي وضع كتاب في القانون الذي لم يزل يدرس بعضه في طب ألمانيا ومن المعروف ان كل هؤلاء الرواد الذين ظهروا في مصر والعالم العربي حتي القرن الرابع عشر أجروا دراسات علي السلوك وصل بعضها الي ضبط تجريبي

جيد علي سبيل المثال حاول ابن سينا أن يجيب علي السؤال التالي: وهو سؤال أشبه بفرض علمي ما أثر الخوف علي وزن الجسم. وافترض فرضاً صفرياً بانه لا علاقة بين مشاعر الخوف ووزن الجسم – للإجابة علي هذا السؤال – احضر ابن سينا عنزتين توائم مماثلة (لاحظ ضبط المتغيرات هنا جينياً) وربط ابن سينا العنزتين في مكان متماثل – وقدم لكل منها نفس الغذاء وفي نفس الوقت والنوع والكمية (ضبط المتغيرات الدخيلة) – ثم قرب من الأولي ذئباً – لإثاره مشاعر الخوف – ولم يحضر ذئباً امام الأخري (ضبط المتغير المستقل) ثم تابع قياس وزن العنزتين علي فترة زمنية ٣ أشهر (المتغير التابع) وجد فعلاً أنه مع استمرار زيادة الخوف عند الاولي (لوجود الذئب) كان وزنها يتناقص مع زيادة الخوف j.Coleman (عبدالسلام الشيخ) كما عالج أميراً كان يتوهم أنه بقرة... إلخ

كان هذا قبل ظهور المنهج العلمي وشروطه وخصائصه في اوروبا في القرن الرابع عشر.

وبكل أسف لم يظهر مفكر مصري أو عربي يحلل هذه التجارب الفردية مثل تجربة ابن سينا ويستخرج منها خصائص التفكير والبحث العلمي السيكولوجي, بل ماتت هذه التجربة وغيرها مع موت صاحبها ولم يستفد منها العرب أو المصريون لأن أخطر ما يهدد الفكر الراقي ومستقبله هو اهماله وعدم الاعتداد به ومن هنا مات الفكر العربي والمصري مع موت اشخاصه حتي ظهرت بوادره في الغرب حيث وجد أرض خصبة مما جعل اصحابه يسودون عالم اليوم وربما عالم الغد.

ظهور الفكر العلمي السيكولوجي في العالم:

ظهرت ملامح وخصائص الفكر العلمي الأوروبي مقترنة بالثورات الأوربية خاصة الفرنسية وكان علي رأس فلاسفة العلم كلودبرنارد وجون ستيوارت مل وجون ديوي وجون لوك وباركلي وفرنسيس بيكون وإيمانويل كانت بألمانيا وأمريكا وانجلترا ولالاند بفرنسا.....إلخ

عارض كل هؤلاء وعلي رأسهم الفيلسوف الشهير برتراندرسل بانجلترا ومدرسه الوضعية المنطقية التي نقلها الي مصر الفيلسوف الرائع زكي نجيب محمود (جامعة القاهرة) عارضوا الميتافيزيقا والمنطق الأرسطي (حيث ظهرت مدرسة فيينا علي رأسها كارناب Vinaa Circle وظهر صراع بين الفكر الميتافيزيقي والوضعية المنطقية ومنها الفلسفة الحسية والتجريبية وحتي تبلورت خصائص التفكير العلمي وبدأ تطبيقه علي الظواهر الطبيعية الحسية.

وانتهت هذه الدراسات العلمية الي قوانين علمية تعطينا القدرة علي التحكم في ظواهر فسيولوجية مثل قوانين بيل وماجندي أو في الميكانيكا ؟؟؟؟ وعلم الفيزياء الكمية وظهرت قوانين نورشيللي وبوبل والتحكم في الغاز وحجمه وقوانين جاليليو والجاذبية. كل هذا أغوي الفلاسفة ذوي التوجه الوضعي المنطقي والحسي التجريبي أن يطبقوا هذا المنهج العلمي علي الظواهر الانسانية خاصة النفس أو السلوك من أجل لم يزل التراث السيكولوجي يؤكد أن علم النفس أنفصل عن الفلسفة وفي الأجزاء التالية سنري أن الأمر ليس بهذه البساطة

ولادة علم النفس في مصر

ولد علم النفس في مصر من خلال محل ميلاده الأصلي – كعلم – وهو الغرب بما يفرض علينا أن نتعرف علي الملامح العامة لهذا العلم في الغرب – تلك الملامح التي شكلت علم النفس في مصر كما سنتناوله بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة.

ملامحه العامة في الغرب: بشكل مختصر جداً نري أن ميلاد علم النفس في الغرب كان مشتتاً ومتصارعاً, حيث ظهرت في ألمانيا مدرسة الجشطالت (كوفكا وفرتهيمر....إلخ) متاثرة بالفلسفة الكلية لإيمانويل كانت والروح المطلقة لهيجل I'esprit absolute

وفي إنجلترا ظهرت المدرسة التجريبية العلمية خاصة عن فالنتيين المهتم بسيكولوجية التذوق وأيزنك وتأثره براسل وجون لوك ومقولته المشهورة I'es est percept بما جعل الإدراك

أحد الموضوعات الهامة عند فالنتين كما كان عن الجشطالت كما ظهرت دراسات تجريبية مثل لاشلي الفسيولوجي وقوانين هلمهولتز العتبات الحسية المطلقة والفارقة وغيرها, ومع هذا ساد منهج البحث السيكومتري الذي أكتسب شهرة واسعه بالاعتماد علي الاحصاء خاصة إحصاء سبيرمان وجيلفورد وتوظيف هانز ايزنك له ولحساب المعايير والصدق والثبات وابداع قوانين ومناهج احصائية متقدمة كالتحليل العاملي وما وراء التحليل..... إلخ

وكل هذا ساهم في انتشار الدراسات التجريبية والموضوعية السيكومترية.

ومن الملامح الرائدة لعلم النفس في أوروبا كما هو معروف ايفان بافلوف في روسيا وقوانين تعلم السلوك الاستجابي الرائعة ثم هناك سيجموند فرويد بفيينا الذي تتلمذ علي يد شاركو صاحب التنويم الايحائي بفرنسا والذي وضع اسس المنحي التحليلي الديناميي في نهاية القرن ال١٩.

وما يؤكد تشتت بداية دراسات النفس أو السلوك في الغرب أننا لا نجد منهجاً او مناهج محددة تجمعها. والأخطر لا نجد موضوعات متماثلة فالموضوعات المدروسة مثلاً كالاعلاء والتحويل والشعور واللاشعور موضوعات لا توجد إلا في التحليل النفسي والعامل للذكاء وأبعاد الشخصية لا توجد إلا في السكومترية كما عند سيبرمان وأيزنك والعينات الحسية لاتوجد إلا في الفسيولوجي....إلخ بما يزيد من شكوكنا في علمية هذه الدراسة أو أنها تنتمي الي علم واحد يجمعها يسمي علم النفس.

بداية علم النفس في مصر المعاصرة

بدأ علم النفس في مصر مع بداية أو جامعة مصرية سنة ١٩٠٨ وهي جامعة القاهرة وكانت أو محاضرة حول علم نفس المرأة سنة ١٩١١ وبدا استخدام كلمة عقل mind والسلوك كموضوعات أساسية لمصطلح علم النفس في هذه الفترة كانت صورة علم النفس في الغرب في بداية القرن العشرين مبهمة ومشتته (SAATS) (بعنوان الوحدة والتشرزم في

علم النفس), الذي أكد علي تشتت علم النفس في الغرب, هذه الصورة نقلت كما هي من الغرب الي مصر ومع ان الغرب بلورها وطورها جوهرياً كما سنري إلا انها في مصر ازدادت غموضاً فيما عدا محاولات فردية لم يكتب لها النشر أو النجاح.

كيف نقلت الصورة من الغرب الي مصر

مع ظهور اول جامعة في مصر ١٩٠٨ وهي جامعة القاهرة وحدوث الحرب العالمية الأولي ثم ثورة ١٩١٩ العظيمة بقيادة الزعيم المصري سعد زغلول زاد حماس المصريين لبناء مصر العظيمة الحرة من الاستعمار ومن التخلف وزاد وعي الشعب والقيادة بأن العلم هو مفتاح التقدم وحل المشكلات.

بدات الدولة تتبني إتجاه تدعيم الجامعة رأسياص وأفقياً فظهرت مباشرة جامعة الاسكندرية ثم عين شمس بعد القاهرة سنة ١٩٠٨ واتخذت إجراءات حماسية صائبة بإرسال بعثات تعليمية الي الغرب المتقدم.

بعثات علم النفس للمصريين

بدأت أول بعثات علم النفس في سنة ١٩٣٠ وكان علي رأسهم رواد علم النفس المعاصر في مصر وهم: عبدالعزيز القوصي في إنجلترا وعاد منها ١٩٣٤ وإلي فرنسا يوسف مراد وعاد سنة ١٩٣٤ وعزت راجح بفرنسا وعاد سنة ١٩٣٨ ومصطفي زيوار بفرنسا والنمسا وعاد سنة ١٩٤٢ كلمن هؤلاء الرواد تولي قيادة فرع فالقوصي تولي قيادة فرع علم النفس التعليمي بمعاهد المعلمين العليا وكليات التربية التابعة لجامعة عين شمس حيث تم إنشاء القسم سنة ١٩٢٩, وعزت راجح الذي تولي ريادة علم النفس الأكاديمي السيكومتري في الإسكندرية, ويوسف مراد الذي تحمل هذا العبء في أداب القاهرة في الأربعينيات, بينما تولي زيوار وهو طبيب نفسي اساساً علم النفس الباثواوجي بأداب عين شمس.

بداية أقسام علم النفس في مصر

حتي تلك الفترة لم يكن في مصر غير تلك الجامعات ومع عودة المبعوثين الرواد السابق ذكرهم تم افتتاح الاقسام التالية واعتبار مادة علم النفس منهجاً أساسياً في هذه الأقسام هي:

١- قسم الفلسفة بأداب القاهرة تم إدخال "علم النفس" في مناهجه سنة ١٩٤٠

٢- قسم الفلسفة والاجتماع بأداب الاسكندرية سنة ١٩٤٢.

٣- بجامعة عين شمس ١٩٥٠ أنشأ قسم اجتماع وعلم نفس.

وعلي يد هؤلاء المصريين العظماء دخل علم النفس جامعات عربية كما دخل العراق علي يد عزت راجح سنة ١٩٦٠ – ١٩٧٠..... إلخ.

بداية تشكيل علم النفس في مصر علي يد هؤلاء الرواد.

انقسم هؤلاء الي منحيين منحي ضم مراد بأداب القاهرة وراجح بالاسكندرية والقوصي بالتربية والتعليم, واعتمد هذا المنهج علي القياس النفسي ولغة الاحصا والاختبارات المقننة والتعريفات الاجرائية.... إلخ

كانت هذه البعثات المصرية لبحوث علم النفس في الغرب منذ نهاية العشرينات – أي بعد ثورة سنة ١٩١٩ ودستور سنة ١٩٢٣ – كانت هذه البعثات إيذاناً بريادة مصر لبحوث السيكولوجي في الشرق والتي غطت كثيراً من مجالات البحث السيكولوجي السابق ذكرها (أنظر سويف ١٩٩٩ – ٢٠٠٠) وامتداد البحث السيكولوجي المصري مناهجه التي حملها معه من الغرب بل موضوعاته أمتد الي الدول المحيطة بعد أن ثبت أركانه في مصر.

فدخل بيروت بالجامعة العربية سنة ١٩٥٠ وفي نفس السنة في سوريا وفي العراق في الاربعينيات علي يد العالم المصري عزت راجح بالمعهد العالي للتربية سنة ١٩٥٨, وتأخر دخوله بقية الدول العربية حيث دخل المغرب ١٩٧٠-١٩٨٠ وفي السعودية مع إنشاء جامعة الرياض سنة ١٩٥٢-١٩٥٣ وفي الكويت سنة ١٩٦٦ وفي قطر ١٩٧٣, وفي السودان دخل علم النفس مبكراً ضمن قسم الفلسفة التابع لجامعة القاهرة بالخرطوم سنة ١٩٥٥.

بداية افتتاح أقسام علم النفس في مصر

في سنة ١٩٢٩ انشأ أول قسم لعلم النفس التربوي بمعاهد المعلمين العليا وكليات التربية جامعة عين شمس.

وكانت أول دراسة سيكولوجية مصرية سنة ١٩٢٨-١٩٢٩ وكان علي رأسها مظفر شريف ذوي الأصل التركي والجنسية الأمريكية الذي قال أن مصر رائدة الثقافة والعلم في الشرق الأوسط وأجري تجاربه المعروفه في علم النفس الأجتماعي حول الظاهرة القمعية والتي تعني أن تباين الأراء وتباعدها الذي قد يخلق العدوان إنما يقل عن طريق التفاعل بالحوار الحر (f.abou hatabe 1999) (عبدالسلام الشيخ ٢٠٠٥)

ولان الغلبة كانت لمراد وراجح القوصي فسادت فكرة الاختبارات اللفظية المقننة والعينات الممثلة – وهو ما يسمي بالمنحني السيكومتري – إلا أن الموضوعات كانت متباينة تماماً فكان هناك علم نفس عام – كلينكي – صناعي – تعليمي وإبداع وبعد فترة زمنية بسيطة نمي هذا التوجه وسيطر علي منظومة البحث السيكولوجي في مصر وأمتد علي يد جيل لاحق علي رأسهم العالم الفذ مصطفي سويف أمتد هذا المنهج الي الجيش المصري وبناء مركز البحوث النفسية وإنشاء دبلوك عسكرية بإشراف جامعة القاهرة وعين شمس وتطوير بطارية إختيار الطيارين والقياس النفسي للعسكريين. كما امتد هذا المنهج السيكومتري الي مركز البحوث الجنائية الاجتماعية من خلال أداب القاهرة ومدرسة مصطفي سويف وتلاميذه خاصة في دراسات ؟؟؟؟. كما أمتد هذالمنهج أيضاً الي

أكاديمية ؟؟؟؟ التي أزدهرت في عهد عالم النفس ووزير ؟؟؟؟ الأسبق شاكر عبدالحميد وهو احد تلاميذ سويف صاحب المنحي السكومتري وتم تقنين مقاييس الإبداع خاصة مقاييس تورانس وجيلفورد وأنتجت علماء في سيكولوجية الابداع منهم عبدالحليم محمود, زين درويش, محيي الدين حسين, مصري حنورة, عبدالستار ابراهيم, سلوي الملا, صفوت فرج وناهد رمزي وكثيرين غيرهم.

وأمتد هذا المنهج أيضاً الي وزارة الصحة ومستشفياتها النفسية مثل مستشفي العباسية والتعاون بينها وبين علم النفس في القاهرة وعين شمس.

وامتد هذا المنحي كذلك الي المجلس الأعلي للفنون والأداب وتعدل الي المجلس الأعلي للثقافة وكان أول مقرر له في الحالتين أ.د مصطفي سويف تلميذ يوسف مراد, وكان للمجلس الأعلي دوراً هاماً في نشر الثقافة النفسية وأهمية دراستها علمياً وقام هذا المجلس بدور قائد في تشجيع رواد علم النفس وتكريمهم و لم يزل يقوم بهذا الدور حتي الأن.

لا ننسي أيضاً دور هذا المنحي في وزارة الصناعة – وبناء مصلحة الكفاية الانتاجية وبناء بطارية لقياس مهارات العاملين والمتقدمين لعمل ما – للأنتقاء والتوجيه وكان علي رأس هذه المساهمة أخصائي نفسي من تلاميذ سويف هو د. فرغلي الذي سافر أمريكا منذ ٤٠ عاماً و لم يرجع حتي الأن.

وهناك امتدادات أخري لهذا المنحي امتدت لتغطي كل أقسام علم النفس في الجامعات الأقليمية التي أنشات بعد هذا وبكل أسف كانت بداية أضعاف هذا المنحي ومستخرجاته وزاد الكم علي حساب الكيف – كما سنري.

ومع هذا أمتد هذا المنهج عبر القوصي وكلية تربية عين شمس الي مجال التعلم المصري ليعطيه وينتج مركز للبحوث التربوية بجامعة عين شمس اهتم كثيراً بدراسات التعليم والتعلم وقد نمي بعد ان أشرف عليه نخبة من تلاميذ القوصي مثل ابو حطب – أنور الشرقاوي – نبيل نوفل – سليمان الخضري – سعيد اسماعيل ولحسن الحظ فإن هؤلاء خرجوا بعثات في

الستينيات حينما كانت مصر علي علاقة قوية بالاتحاد السوفييتي فاستفادوا كثيراً من منهج بافلوف ومدرسته بروسيا خاصة ما يرتبط بالتعلم وتركز دراستهم علي التعلم وادواته إلا أنهم لم يهتموا بالشروط النيورولوجية أو الفسيولوجية التي من المحتمل ان تستنتج من دراسات بافلوف ومدرسة و زملائه.

كل ما سبق مؤشرات لمستخرجات المنحي السيكومتري في مصر وراء كل مؤشر صورة متكاملة من البحوث النظرية والتطبيقية تؤكد جميعها ريادة مصر في هذا المنحي وتطوره وخصوصيته, و لم يزل هذا المنحي السيكومتري هو المسيطر علي البحث السيكولوجي في كل جامعات مصر تقريباً فيما عدا بعض البحوث الدينامية المتناثرة والتي ترتبط باقسام علم النفس بأداب عين شمس ومركز الطفولة بها واداب بنها والمنصورة وبعض البحوث المعملية النادرة لمبعوثين معاصرين مصريين مثل سيد شعيشع ببنها وسويف بالقاهرة وقد اتجهت نحو المنهج العلمي وكذلك في كليات تربية عين شمس حول التعلم.

هذه البحوث اتبعت المنهج التجريبي والمعلمي وبكل أسف هي نادرة في مصر.

اما المنحي الثاني: وهو الطبي والدينامي ورائده زيوار وصفوان باداب عين شمس لم يكتب له الانتشار كثيراً.

والمنحي الثالث: الفسيولوجي التجريبي فلم يكن له جذوراً قوية في مصر والدراسات التي اقتربت منه كانت كلها حول التعليم كما في تربية عين شمس وبالرغم من أنها معملية لم تكن – إلا نادراً منها – تجريبية.

صورة علم النفس الحالية في مصر

في ضوء ما سبق يمكن أن نقول أن صورة علم النفس في مصر – هي تقريباً – كما نقلها الرواد السابق ذكرهم منذ عام ١٩٣٠ تنحصر في: أ- مدخل سيكومتري بكل مفاهيمه ومكوناته وتطوراته وتطبيقاته وقد أبدع فيه مصريون علي رأسهم العالم مصطفي سويف وتلاميذه وعزت راجح ثم القوصي وتلاميذه وكليات التربية.

إلا أن هذا المنهج ظل كما هو منقول من الغرب, ويغطي أكثر من ٧٠٪ من دراسات السيكولوجيا في مصر و لم يزل هو المعتمد علمياً في مصر, مع أن الغرب بدأ مراجعته وتجاوزه لهذا المنهج.

ب- المنحي الدينامي نادر تطبيقه في البحوث المصرية, فيما عدا بعض الدراسات في النمو النفسي القائمة علي الملاحظة الموضوعية.

جـ- المنحي التجريبي أو الفسيولوجي: وهو نادر في مصر رائده العالمي بافلوف, الجزء التجريبي منه أقتصر علي دراسة بعض الظواهر المرتبطة مباشرة بالسلوك مثل تعديل السلوك والتعليم, وعامة فدراسته نادره ويمثل ندرتها خسارة قوية للبحث السيكولوجي في مصر.

مساهمات مصرية معاصرة لتطوير البحث السيكولوجي

الصورة النهائية حتي ما بعد سنة ٢٠٠٠ لعلم النفس في مصر

مؤشراته:

١- بدأ كفكر مع إنشاء جامعة القاهرة أولي جامعات مصر سنة ١٩٠٨

٢- بدأ كعلم سنة ١٩٣٠ مع البعثات المصرية السابق ذكرها.

٣- ظهرت اول جمعية لعلم النفس سنة ١٩٤٨ أقدم جمعية عربية نفسية.

٤- ظهرت أول مجلة لعلم النفس في العالم العربي سنة ١٩٤٨-١٩٥٣ بإشراف مراد وزيوار وسويف ثم تعددت الجمعيات السيكولوجية بعد هذا ومنها رابطة الأخصائيين النفسيين ١٩٨٠ ؟؟؟ (رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية) علي سد صفوت فرج وتلاميذه.

٥- عامة انتشر علم النفس بكل جامعات مصر ٢٦ جامعة وأصبح له أقساماً متخصصة ودبلومات عليا ودراسات عليا للماجيستير والدكتوراه ولجان ترقية ودخل تطبيقها الجيش والشرطة والتربية والتعليم والصحة..... إلخ

٦- إلا أن صورة علم النفس في مصر – بالرغم من استقرارها وانتشارها وسيادتها علي الفكر السيكولوجي لدول المنطقة إلا أنها استمرت نمطية لمعظم نتائج بحوثها بها إبداع كمي وليس كيفي أو بلغة سيكولوجية بحوث الإبداع أبدعت لنا ؟؟؟؟؟ لخاصية الطلاقة وليس الأصالة كما سنري لكي يتضح لنا معني ما سبق علينا أن ننظر ؟؟؟؟ الحال السيكولوجي في مصر كما عرضه سويف ٢٠٠٠

؟؟؟؟ سويف أن بحوث علم النفس المصرية تدور حول محورين:

؟؟؟؟؟ النمو النفسي ؟؟؟؟؟؟؟ الابداع والتعليم وتغطي الشخصية - ؟؟؟؟؟ - الاداري والتنظيمي – علم النفس البيولوجي – التجريبي – كلينكي – عبر الحضاري وتناول كل منها تفصيلاً (يمكن الرجوع الي المرجع PSYCN ARAB COUNTRIES ويشير في نفس المقال الي أن البحوث المصرية حتي وقتنا الراهن في مجال علم النفس التجريبي وعلم النفس البيولوجي نادرة في مصر ويكاد لا يكون لها وجوداً وهو لم يذكر لنا أسباب هذه الندرة مع أن علم النفس في معظمه تقريباً في الغرب حالياً يكاد يعتمد كلية علي التجربة والمعامل والأجهزة كما في بحوث (الجز) بجامعة مينوسوتا وجامعة ميتشجان وغيرها واستخدام أجهزة خرائط المخ (انظر عبد السلام (مترجم) الاضطرابات النيوروسيكولوجية)... وغيرها بكل أسف لم تدرس هذه المحدثات الغربية في مصر ولا حتي الأطر النظرية حولها فيما عدا محاولات متواضعة ومحدودة مثل كتاب عبدالسلام الشيخ إشكالية العلم في علم النفس:

١- يري أن علم النفس بكل بحوثه ولد عن الطب النفسي منحي دينامي فرويدي متعامل مع النفس وهي لا تصلح موضوعاً للعلم.

٢- المدخل الفسيولوجي ورائده بافلوف في روسيا وتلاميذه مثل راكمان ولندا ..... إلخ وهذا المنحي الذي اتخذ المنهج العلمي الواضح المعتمد علي التجريب والقياس العلمي وكان لهذا المدخل الفضل في المحافظة علي علم النفس كعلم وتوصله الي قوانين علمية حقيقية تعطينا القدرة علي التحكم والتنبؤ وتفسير السلوك.

٣- المدخل السيكومتري وقد أشرنا إليه مسبقاً وله محاذيره خاصة أنه يستخدم لغة كمية الاحصاء كما أشرنا وهي تغري الباحثين بالتسليم بها.

ومما أخذ عليها ما قاله سكنر في رفضه لمفهوم السلوك كموضوع للسلوكية وقال أن موضوع السلوك عند السيكومتريين لا يقل ميتافيزيقية عن مفهوم النفس عند التحليليين.

ثم وضع برنامجاً أسماه BACB خاص بتحليل السلوك بحيث ؟؟؟؟ موضوع للقياس والبحث العلمي ومن خلال كتابات سكنر تم انشاء قسم خاص بتحلل سلوك رقم ٢٥ في ABA ومع هذا نري أن ؟؟؟؟؟ أو تكنيكات تحليل السلوك عند سكنر ؟؟؟؟؟ علي المكون الخارجي للسلوك وهو ليس ؟؟؟؟ من مكون سلوكي لسلوك أكثر تعقيداً منه ويشمله ؟؟؟؟؟ هنا شكك المؤلف في بحوث السيكومتري ؟؟؟؟ مع السلوك كموضوع لبحوث علم النفس بهذا المفهوم وقارن بين نتائج بحوث سيكومترية ورؤية الرجل العادي حول نتائجها وجد منها تطابق نتائج البحث السيكومتري وتوقع الرجل العادي فمثلاً لا يمكن ان تتوقع ان أب يستخدم العقاب البدني والرفض لأبنه ولا يحدث إضطراب لهذا الابن نتيجة متوقعة بنسبة مرتفعة ودالة سواء جاءت نتيجة خبرة إجتماعية أو بحث سيكومتري..... إلخ ولو كانت النتيجة غير هذا لكانت موضع شك ولا يتوقف غموض البحث السيكومتري عند موضوع السلوك فقط بل يمتد أخطر منها العينات. فهو يركز علي سحب عينات البحث من الأفراد أو الأشخاص هنا لا يوجد سلوك بدون أشخاص . إلا أني أدرس السلوك وليس الأشخاص كما يدرس عالم النبات ثمرة الجوافة ومكوناتها هنا تكون عينة من ثمرة الجوافة وليس شجرة الجوافة إلا في ظروف معينة مع أنه لا توجد ثمرة بدون شجرة.

لم يتوقف نقده للسيكومتري عند هذا بل أمتد الي أدوات القياس ومعظمها مقاييس لفظية موضوعية, بالرغم من صدقها وثباتها ومعاييرها, هل القياس اللفظي يقيس اللفظ في ذاته أو مدلولو اللفظ عند من وضعها أم عند المفحوص وهل مدلول اللفظ لو كان ثابتاً عند المفحوص في لحظات متماثلة هل هو ثابت في لحظات يعايشها المفحوص غير متماثلة

وهكذا بدا الشك في أدوات القياس السيكومترية خاصة اللفظية وهي تمثل أكثر من ٨٠٪ من أدوات القياس السيكولوجية عامة.

امتد الشك كذلك الي البناءات الفرضية في علم النفس فمن المعروف أن معظم مصطلحات علم النفس والمستخدمة في العالم أو في مصر هي بناءات افتراضية – فالذكاء – والتخلف العقلي – العدوان – العبقرية – الأنطوائية .... ألخ كلها بناءات فرضية ولها مقاييس لفظية سيكومترية مثل مقياس هانز أيزنك للشخصية أو لفظية أدائية مثل مقياس ويكسلر للذكاء هل البناءات الفرضية التي تقيسها هذه المقاييس لها وجود واقعي وموضوعي فعلاً؟ للإجابة علي هذا التساؤل يري سويف وتلاميذه أن البناء الفرضي العلمي لا يكون عيانياً بشكل مباشر, يكفي أن له مؤشرات عيانية كما هي الفيزياء حينما نستنتج الكهرباء من ضوء المصباح فنحن لا نري الكهرباء وانما نستنتجها من ضوء المصباح فهو فرضي وليس عيني وبناء علي هذا التوجه أقام ايزنك و ؟؟؟؟ البناء الهرمي للأستجابات النوعية والعادات والسمات والأبعاد حيث يمكن استنتاج فرض من فرضي إلا أن صاحب كتاب إشكالية العلم طرح مشكلة هامة هي أن البناء الفرضي الفيزيائي (الكهرباء مثلاً) تستنتج مباشرة من مدرك عياني محسوس هو نور المصباح أي أن البناء الفرضي العلمي لابد أن يستنتج م نالمستوي الأول بمعني أن يستنتج مباشرة من مدلول عيني مباشر. أما إذا استنتج من بناء فرضي أخر كالسمة من العادة أو الذكاء من التحصيل هذا أقرب الي الميتافيزيقيا وبعيداً عن حقيقة العلم معني هذا أن البناء الفرضي لكي يكون علمياً أي قابلاً للبحث العلمي لابد أن يكون مستنتجاً من مؤشر عياني مباشر.

وهذا شرط مهمل عامة في مجال البناءات الفرضية عن علم النفس في مصر بينما تم تجاوزه في الغرب كما سنري حيث تجاوزه في الغرب منذ أن انشأ سكنر BACB الذي يهتم أساساً بتحليل السلوك. غير أن تحليل السلوك هنا اقتصر علي المكون الخارجي للسلوك باعتباره يمثل ظاهرة السلوك مع أنه ليس أكثر من مكون للسلوك يكمل بقية المكونات الداخلية.

من هنا قدم صاحب هذه الرؤية ما أسماه التشريح التصوري ببسلوك كما يلي:

مكون ظاهر	مكون داخلي		مكون ظاهر
المستقبلات الحسية	بيولوجي	فرضي	مكون الاستجابة الخارجية ؟؟؟؟؟

ولأول مرة يتم هذا التصور ويشير الي مكونات السلوك ويميز بينها وبين مثيراتها ونواتجها بما يجعلنا نعيد النظر في تقسيمنا للسلوك الحالية بناء – لأعلي ذات السلوك وإنما علي مثيراتها أو علي نتائجها مثل قولنا السلوك الصناعي ٠ أو عقلي أو وجداني ...إلخ ويحتاج الأمر الي وقفة عقلية حيادية وموضوعية ليتأكد لنا أن هذا التقسيم لا وجود موضوعي له وانه يوجه الباحثين نحو موضوعات غير علمية ويهمل العلمي منها وخاصة في مصر (جردية الصباح العراقية العدد ٢٠١٧/٧/٦ والعدد ٢٠١٧/٧/٩ مقالين تحت عنوان التشريح التصوري للسلوك. عبدالسلام الشيخ والابستمولوجيا النفسية أشارت هذه النظرية الي خطورة استخدام اللغة وكيف نبحث عن الموضوع من خلال اللغة وبينما الأصح ان نبحث علمياً في الظاهرة حتي اذا عثرنا علي موضوع أو متغير أو خاصة علمية نطلق عليه مصطلحاً علمياً معملياً وليس العكس. لمزيد من التفصيل أنظر كتاب (عبدالسلام الشيخ ٢٠١٧ إشكالية العلم في علم النفس مطبعة محمد الزرقا – طنطا- كلية الأداب)

نكتفي بهذا القدر من هذه النظرية التي نتجت من عقول مصرية خالصة وتعتبر جديدة علي مستوي العالم بل تعديل في أحدث نظرية لتحليل السلوك لسكنر ول APA العالمية.

إلا أن الوضع أو المناخ العلمي في مصر ليس مؤهلاً حتي الأن لتنمية أي فكر إبداعي قد يتعارض مع مبدا الاستقرار الذي يفهم خطأ أنه ليس في الإمكان أفضل – ليس مما كان – وإنما ما هو كائن.

هذا المناخ أدي الي كف الكثير من الأفكار الابداعية في مصر وربما منها هذه النظرية والتي لو وجدت مناخاً خصباً لتنمية الإبداع وهو ما نحاوله بعد ثورة ٣٠ يونيه لربما فوجئنا بدور ريادي لمصر في البحث السيكولوجي في العالم يحمل سمات مصر وعلمائها. كما هو متوقع لها تاريخياً

تطبيقات السيكولوجي في مصر

ركزنا فيما سبق علي اجراءات وأساليب نقل صورة علم النفس كعلم من الغرب الي مصر واتضح منها وجود ٣ صور:

١- صورة طبية دينامية نادرة في مصر ومتخمة بالميتافيزقيا.

٢- صورة تجريبية معملية نادرة جداً في مصر مع أنها الأصح.

٣- صورة سيكومترية وهي الأكثرأنتشاراً إلا انها الأكثر غموضاً ومستخرجاتها لم تضف الي معرفة الرجل العادي شيئاً – والأكثر أنتشاراً في مصر وتمثل ما لا يقل عن ٧٠٪ من بحوث السيكولوجيا في مصر.

وقد تعرضنا لها بنقد الباحثين المصريين لها تفصيلاً من حيث المنهج.

اما من حيث موضوعات البحث السيكولوجي

لعل من اهم تطبيقات البحث السيكولوجي في مصر هو التعليم ومن المسلم بـــه أن عائد التعليم في مصر متدهور لا يرقي لما ينفق عليه والمقارنة بين نظام التعليم في مصر فيما قبل ١٩٥٠ والنظم التالية يجد زيادة جيدة في الكم ونقصاً خطيراً في الكيف لأننا لم نحاول أن نترجم نتائج بحوث علمية معاصرة لتطوير التعليم.

وظهرت محاولات لتطوير التعليم في مصر أطلق عليها – الجودة – في جميع مراحـــل التعليم حتي الجامعة, وبكل أسف فإن الجودة فيها كارثية وأكدت علي انحسار التعلـــيم في

زيادة المعلومة التحصيلية أو المعرفة و لم تهتم بالسلوك ككل ويؤكد هنا علي تركيزها علـــي معلومة الكتاب المدرسي.

الأهداف المتعددة للمنظومة والحصة وانحصر تقييم جودة التعليم في مقاييس تحصيلية تقيس ما حصله التلميذ من الكتاب أو من الحصة وأهمل بناء الشخصية والأفكار ومواجهة المشكلات وتوظيف مثيرات الحياة نحو حياة أفضل..... ألخ

والأمر يحتاج الي مقالات وندوات ومؤتمرات تضم علماء من العالم وتتسع لتتحمل الخلافات في الأراء ونتائج البحث.

اما من حيث الموضوعات التي تناولها البحث العلمي في مصر

هنا نجد مقارنة قوية بين موضوعات البحث وتطبيقاتها تناولت البحوث السيكولوجية في مصر المنهج السيكومتري كثيراً من موضوعات علم النفس في الغرب مثل – الشخصية – الابداع- الاداري والصناعي – الاكلينيكي – القياس النفسي الاجتماعي – التـــذوق الجمالي والفني – التعاطي والادمان ..... ألخ

واجريت محاولات التطبيق في مجالات كثيرة متعددة منهـــا الجـــيش – الطـــيران – الداخلية –الصحة – والصناعة كما سبق ان أشرنا.

ومع ان مستخرجات هذه التطبيقات معقولة إلا أنها لم تصل الي المستوي المرغوب حتي الأن – في اي مجال – كما نحب ونتمني بما لسببين:

أ- أن الكفاءة العلمية في كثير من هذه الهيئات المصرية تحتاج الي تأهيل عالمي.

ب- ان مستخرجات البحث العلمي السيكولوجي في مصر يســـتند علـــي المـــدخل السيكومتري وهي مستخرجات لا يمكن إدراجها تحت نتائج العلم الاساسي. وبالتالي فتطبيقها يعتمد لا علي العلم – وانما علي المهارات الفردية والخبرة الذاتية والاجتماعية.

ت- لم يزل يحتاج الامر الي:

١- تطوير البحث العلمي السيكولوجي في مصر – كما هو مطروح في الأوراق السابقة – وكما هو حادث حالياص في العالم الغربي – خاصة تعديل مفهوم السلوك وإدخال أجهزة القياس السيكو فسيولوجية والاهتمام بالربط بين المكون الخارجي للسلوك والبناء النيورولوجي بناء ووظيفة وخريطة المخ.... ألخ كما حدث في جامعة ميينسوتا... ؟

٢- تطوير آليات التطبيق في مصر – طبقاً لمعايير العلم – وليس معايير الرؤي الذاتية والخبرة العملية والتأكيد علي بعثات منظمة وهادفة للغرب المتقدم. نحدد أهدافها بحاجه البنية المصرية بحيث تحدد أهداف البعثات بشكل إجرائي يخدم البحث السيكولوجي لمشكلات السلوك – بالمفهوم العلمي – في مصر علي أن توجد للمبعوث العائد كل الشروط الممكنة لترجمة ما درسه في الغرب في تنمية البحث السيكولوجي وتطبيقاته في مصر

نموذج لتعامل المجتمع المصري مع الإبداع السيكولوجي وبما العلمي عامة هذا النموذج يقدم لنا مقارنة بين واقع وانتاج علمي عالمي وجد بيئة صحية حاصلة له فحصل أصحابه علي أعلي جائزة عالمية خلدت اسماءهم واسماء بلدهم وبين واقع مصري ثري بالابداع والمبدعين لكنه لم يجد البيئة الحاضنة فمات حيثما ولد.

أما الواقع العالمي الحالي الذي نقصده فهو منح جائزة نوبل للطب وعلم وظائف الأعضاء والساعة البيولوجية ٢٠١٧ لثلاثة علماء أمريكيين بفضل إنجازاتهم في الكشف عن طريق عمل الساعة البيولوجية ووظائف جزئيات الخلايا الحاكمة للإيقاع وهم جيني هول, مايكل روسباش, مايكل يانج لأكتشافهم مجموعة من أسرار عمل الساعة البيولوجية تشمل آليات جزيئية تتحكم بعمل تلك الساعة البيولوجية عند الانسان وتنظم إيقاعاتها علي مدار ٢٤ ساعة وتتيح للكائنات الحية التكيف مع المراحل المختلفة للنهار والليل وكيف يوائم البشر والنبات والحيوان إيقاعاتهم الشخصية يده من إيقاع الخلية حتي إيقاع الجسم كله مع إيقاع الكون دوران الارض حول الفلك.

هذا الأكتشاف استحق عليه اصحابه بجدارة جائزة نويل ٢٠١٧, وهم بالتأكيد مصدر فخر لبلادهم ولأصحابه.

ما علاقة هذا بدراسة علم النفس في مصر؟

قلنا أن هذا مجرد نموذج لكشف الابداع في مصر يوضح لنا ان مهارات المصريين في الابداع رائعة إلا أن الناتج العلمي والابداعي يقتل ويدفن حيثما ولد فهذه الظاهرة – الايقاع الشخصي والساعة البيولوجية – الحائزة علي جائزة نوبل تم دراستها في مصر وانتحت الي نتائج – سيكولوجية – تتماثل معها بل وانتجت المزيد – كما سنري – وسبقت اصحاب جائزة نوبل في بعضها مثلا

١- كانت أول دراسة معملية سيكولوجية – في العالم أجمع – دراسة أجريناها في معمل علم النفس بأداب القاهرة سنة ١٩٧١ استمرت التجربة وحدها ٣٠ شهراً تقريباً بإشراف العالم العالمي أ.د مصطفي سويف وكانت عن الايقاع الشخصي ولأول مرة في العالم حتي ذلك التاريخ نصل الي اكتشاف عامل عام للإيقاع الشخصي له خصائص تتطابق مع كثير من خصائص الايقاع عند أصحاب جائزة نوبل كما تلاقي معها في الساعة البيولوجية وإيقاع الكون والليل والنهار وأن حالاتنا المزاجية تتأثر عندما لا يكون هناك تطابقاً بين الخارج وساعتنا البيولوجية وايقاعنا الشخصي وهو نفس ما انتهينا إليه (عبدالسلام الشيخ ١٩٧٠). إلا أنهم بأدواتهم التي لم تتوافر لنا استطاعوا اكتشاف عمل الجين المسئول عن الايقاع الشخصي, وهذا وحده اكتشاف رائع بالتأكيد لأنهم يملكون أجهزة قياس عمل جزيئيات الخلايا التي ربما لا توجد عندنا حتي الأن.

٢- أجريت دراسة اخري سيكولوجية عن الايقاع الشخصي منها دراسة ايمان عبدالسلام الشيخ حول تعديل مؤشرات الايقاع الشخصي وأثره علي علاج اضطرابات حركية واستخدمت وظائف المخ مثل الفص الأمامي الجبهي والمخيخ كمتغير وسيط وأمكن

علاج النشاط الزائد وعجز الانتباه عن طريق التحكم في وظائف المخ بالتحكم في إيقاع السلوك الخارجي (د. إيمان الشيخ ٢٠١٦)

٣- وفي مقالتين لنا تم نشرهما في مجلة الأمن والقانون بكلية شرطة دبي الاولي بعنوان "الايقاع الشخصي كمؤشر للشخصية وأضطراباتها" أتضح منه أن اضطراب الكائن الحي خاصة البشري ينعكس في اضطراب ايقاع السلوك (عبدالسلام الشيخ ١٩٩٦) وهو ما طرحه اصحاب نوبل ٢٠١٧ وفي المقالة الأخري بعنوان " خصائص الايقاع الموسيقي المثير للسلوك السوي والمثير للسلوك المنحرف" تكلمنا عن الايقاع الشخصي وعلاقته بايقاع الكون وكيف يشكل شخصية وايقاع الجنين داخل الرحم وهو ما لم يقل به أحد حتي الأن (عبدالسلام الشيخ ١٩٩٨) وعامة فالبحوث السيكولوجية في مصر حالياً كفثاء السيل ليس من قلة الابداع بل من اهماله وعدم توظيفه أساساً في حل مشاكلنا في داخل مجتمع تعود حل مشاكله بالحوار والخبرات العامة والشخصية ولم يتعود توظيف نتائج الابداع العلمي وقوانينه في حل المشكلات التي تواجهه مما يستلزم فهم العلم الحقيقي ومستخرجاته وتطبيقاتها وهو أمر لا يطرح إلا في جامعات متميزة وهي السبب الثاني في الاحالة بين الابداع والتطبيق ذلك ان الجامعات المصرية بدلاً من أن تكون مؤسسات للبحث العلمي النقي أصبحت مؤسسات تعليمية تهتم بتخريج شباب لا يعملون فيما تم تأهيلهم له أو ما يسمي بأجهزة جودة التعليم إنما هي كارثية وما يؤكد ذلك أن معظم الخريجيين لا يعملون فيما تم تأهيلهم له بالجامعة أو لم يستفيدوا في عملهم بما تعلموه بالجامعة. بينما حينما هاجر قلة من الخريجيين المبدعين الي جهات حاضنة للابداع رفعوا اسم مصر عالياً.

المراجع

١- مصرنا في سعيها نحو مستقبل أفضل أ.د مصطفي سويف.

٢- عبدالسلام الشيخ ١٩٧١ الايقاع الشخصي والايقاع في الشعر المفضل رسالة ماجيستير في علم النفس كلية الاداب – جامعة القاهرة إشراف أ.د مصطفي سويف.

٣- إيمان عبدالسلام الشيخ ٢٠١٦ أثر تعديل بعض مؤشرات الايقاع الشخصي علي خفض اعـــراض عجـــز الانتبـــاه والنشاط الزائد في ضوء تغير نشاط المخ رسالة دكتوراه – أداب طنطا.

٤- عبدالسلام الشيخ ١٩٩٦ الايقاع الشخصي كمؤشر للشخصية واضطراباتها دبي كلية شرطة دبي.

٥- عبدالسلام الشيخ ١٩٩٨ خصائص الايقاع الموسيقي المثير للسلوك السوي والمثير للســـلوك المنحـــرف دبي كليـــة الشرطة يناير ٩٨.

٦- عبدالسلام ١٩٨٩ اتجاهات المصريين نحو التعامل مع دخولهم جامعة طنطا مجلة كلية الاداب – جامعة طنطا ينـــاير ١٩٨٩.

٧- ٢٠٠٦ مقارنة بين البناءات الفرضية في علم النفس وبينها في الفيزياء. القاهرة مجلـــة المـــنهج العلمـــي والســـلوك يناير٢٠٠٦ العباسية مكتب سمير عبدالفتاح.

٨- عبدالسلام ٢٠٠٠ علم النفس بين المدلول واللفظ طنطا : مركز الصفا للطباعة.

٩- عبدالسلام ١٩٩٩ علم النفس بين المثير والاستجابة طنطا دلتا للطباعة (ش النحاس)

المراجع الأجنبية:

Cooper, Heron and Heward. (2010). Applied Behavior Analysis' j.app. Beb analyies v43 issues (1) pp1b1- 174.

Gregory & phorly A (2005) Functional Analysis of problem Behavior, j App Behavior Analysis v36 issue 2 pp 147-185.

Paul Latus 2003-2013 (Rev) is psychology science.

carrillo, A.M, Forden, C.I (2013) Community psychology practice Competencies in Egypt Challenges and Opportunities Clobal j Community psychology practices 4(4) pp12.

Psychology in the Arab Countries Ramadan A.Ahmed, Uwe p. Gielen 1998.